

لهذه الأسباب يحتفي "غوغل" بذكرى ميلاد حسين بيكار



الشارقة 24:

يرسم بسيط له وهو يعزف على آلتة الموسيقىه وبجانبه كلبه، احتفى محرك البحث الشهير "غوغل" بذكرى ميلاد حسين أمين بيكار، 2 يناير 1913 - 16 نوفمبر 2002، وهو فنان تشكيلي مصري متميز، فيما يعد تقليداً يتبعه محرك البحث الشهير للاحتفاء بذكريات الرموز التاريخية.

والفنان بيكار ينتمي إلى الجيل الثاني من الفنانين المصريين، وهو صاحب بصيرة نافذة، وذوق رفيع، أحب الموسيقى منذ نعومة أظافره، كما تذكر موسوعة "ويكيبيديا"، حيث كتب رباعيات وخماسيات زجلية تمتلئ بحكمة وبلاغة، ظل معطاء طوال حياته، ومعلماً للكثير من الأجيال.

وهو صاحب مدرسة للفن الصحفي وصحافة الأطفال بصفة خاصة، بل هو رائدها الأول في مصر، له أسلوب بسيط واضح ارتفع بمستوى الرسم الصحفي ليقترّب من العمل الفني، أما لوحاته الزيتية فتتميز بمستواها الرفيع في التكوين والتلوين وقوة التعبير، فهو فنان مرهف حساس، وناقد فني شاعري الأسلوب.

المراحل الأولى من حياة بيكار

في حي الأنفوشي العتيق بالإسكندرية، ولد حسين أمين بيكار في 2 يناير، عام 1913، والتحق بكلية الفنون الجميلة عام 1928، وكانت وقتها تسمى مدرسة الفنون العليا وكان عمره آنذاك 15 عاماً، ليكون من أوائل الطلبة المصريين الذين التحقوا بها، درس في البدايات على أيدي الأساتذة الأجانب حتى عام 1930، ثم على يد يوسف كامل وأحمد صبري، عقب التخرج عمل في تأسيس متحف الشمع، وإنجاز بعض الأعمال في ديكور المعرض الزراعي.

بعد ذلك انتقل بيكار إلى المغرب حيث أمضى ثلاث سنوات مدرساً للرسم وهي مرحلة مهمة في تكوينه، حيث أطلق بيكار

أول رسومه التوضيحية هناك عندما وضع مدرس اللغة الإسبانية كتاباً لتعليم اللغة للتلاميذ، طلب من بيكار مدرس الرسم آنذاك أن يترجم الكلمات إلى صور.

إلى القاهرة رجع بيكار عام 1942، وعمل معاوناً لأستاذه وصديقه الفنان أحمد صبري، وتولى رئاسة القسم الحر خلفاً لصبري الذي انتقل لرئاسة قسم التصوير، وسرعان ما تولى بيكار رئاسة هذا القسم بعد إحالة صبري للتقاعد.

طفولة بيكار

أبصرت عينا حسين بيكار النور على بيت بسيط عار من الأثاث تقريباً، مع جدران جرداء خلت من أي لوحات أو صور أو حتى ألوان، كان والده رجلاً مسناً يعمل أميناً لمخازن السلطان عبد الحميد، ووالدته سيدة بسيطة من أصل تركي دووية على أشغال الإبرة وكانت ترسم بالقلم الرصاص وردة أو فراشة وعندما يراها تفعل ذلك يشعر بالدهشة، إذ كيف تتحقق هذه الأشياء على مفرش تطريز وكان ينظر إلى هذا العمل باعتباره عملاً ساحراً، ومثل أي طفل من أسرة بسيطة حريصة على تعليم ابنها التحق بالمدرسة الأولية وكانت أول مدرسة في شارع "أبو وردة"، والتعليم كان مجانياً ومع المجانية تصرفت المدرسة زوجاً جديداً من الأحذية سنوياً لكل تلميذ لمقاومة الحفاء الذي كان سائداً في مصر في ذلك الوقت، في نفس الوقت كان في بيت الأسرة عود اشتراه والده حتى تتعلم أخته الموسيقى، هي فشلت لكنه شغف بالموسيقى وبدأ يعلم نفسه بنفسه حتى أصبح ظاهرة الحي كله يعزف على العود ويغني الأغاني الخفيفة.

وفي أحد الأيام عرضت عليه إحدى الجارات أن يعلمها الموسيقى نظير ريال في الشهر، وكان أول ريال تقاضاه منها ثمن لعبة ألوان زيت اشتراها وبدأت أولى محاولاته الناجحة في رسم اللوحات، وكانت منقولة من كارت بوبستال لمناظر من سويسرا، بيوت مائلة وبحيرات تنعكس عليها الزهور والأشجار، وعندما حصل بيكار على الشهادة الابتدائية هاجر مع والدته وأخته إلى القاهرة ليلتحق بمدرسة الفنون الجميلة العليا، "وكان والده قد توفى قبل ذلك بفترة".

عازف العود بريشة أستاذه

وفى مدرسة الفنون الجميلة بدأ يدرس الرسم على أيدي أساتذة أجنب ودرس الرسم بالزيت تحت رعاية أستاذه أحمد صبري رائد فن البورتريه وتوطدت العلاقة بينهما لاكتشاف صبري ميل بيكار لفن البورتريه، وزاد من تأكد حبه للموسيقى والغناء الشرقي القديم، ومرت الأعوام ليصبح بيكار مساعداً لمعلمه في تدريس التصوير بمدرسة الفنون الجميلة، وكان بيكار يتردد عليه في بيته بميدان الحسينية وقد شرع أحمد صبري في رسم بورتريه له في 10 جلسات مع العود الذي اشتراه خصيصاً لذلك، ومن عادة الموديل أن يظل ساكناً أثناء الرسم، لكن معه كانت العملية أكثر بساطة، يقول بيكار: كنت أغني له وأغني معه، ولكن معه نفتسم سوياً أدوار محمد عثمان وعبد الحامولي ومنيرة المهديه وكامل الخلعي.

وكنت موديلاً وتلميذاً يتحدث إلي في كيفية بناء الصورة من الألف إلى الياء، كيف يبدأ ومن أين ينتهي وأحياناً كان يشطب كل ما أنجزه، يهدمه ليبدأ من جديد وهنا تعلمت منه فقه التصوير وكيف يكون فن البورتريه.

بعد تخرجه عام 1933 بدأ بيكار نشاطه الموسيقي فقد تعرف على موظف شاب وعازف قانون، وكان له زميل آخر بنفس الإدارة عازف كمان هو عبد الرحيم محمد "والد الدكتور جمال عبد الرحيم عميد الكونسيرفتوار سابقاً"، وانضم إليهم الدكتور إبراهيم زكي خورشيد وكونوا فرقة موسيقية، وبدأ بيكار يظهر نشاطه في الحفلات فيعزف العود ويغني وكانت بعض هذه الأعمال تذا ع على محطة إذاعة محلية كانت تسمى "سابو" وكان يقف على المسرح مع كبار مطربي هذا الزمان صالح عبد الحي وزكريا أحمد وعبد السروجي.

الغلاف الأول لـ "السندباد" 1952

عمل بيكار مع الموسيقى مدرساً للتربية الفنية وانتقل لفترة لدمنهور ثم عاد للقاهرة ثم إلى قنا، ومنها سافر في أول بعثته للتدريس بمدينة تطوان في بلاد المغرب في منطقة كانت تحت الاحتلال الإسباني وكانوا يدرسون للأطفال اللغة الإسبانية إلى جانب اللغة العربية، وكان أن طلب من بيكار عمل رسوم وصفية لكتاب بدائي جداً يحتوي رسوماً بسيطة كشجرة تفاحة قطة، وهنا اكتشف بيكار اللغة البسيطة التي تصل إلى وجدان الطفل ويقول بيكار عن ذلك: لقد أعطوني فكرة عن شيء كنت أجهله، فالرسومات توصل الفكرة بسرعة، وكان ذلك في أيام الحرب الأهلية الإسبانية 1939-1940 وفي هذه الفترة رسم بيكار كتابين مما أتاح له خبرة في أمور لم يكن تعلمها وقتها في المدارس، ولما عاد إلى مصر بدأت صلته بدار المعارف وكانت في ذلك الوقت أكبر دار نشر فعمل كمستشار فني فيها، فكان يصمم أغلفة الكتب مع تصميم كل مطبوعات الدار في ذلك الوقت ومن هذه الأعمال على سبيل المثال التقويم السنوي وكتب كامل الكيلاني "رائد قصص الأطفال في العالم العربي"، وعن هذه المرحلة يقول الفنان بيكار: "في البداية كنت أعمل أغلفة القصص أولاً ثم دخلت عالم الكيلاني فأخذت أرسم القصة بكاملها، كنت أفكر في تعليم القراءة من خلال العين، وهذه ميزة الرسم حيث تنطبع في ذهن الطفل صورة الكلمة، وبدأ بيكار في سلسلة "الكتاب العجيب"، وقامت دار المعارف بإصدارها وكان بيكار يؤلف القصة ويرسمها كما طلب من الفنانين أن يقدموا إبداعاتهم فيها وذلك تحت شعار "اكتب كتاباً وأرسمه"، ومن هؤلاء الفنانين العظماء إيهاب كامل-يوسف فرانسيس- جورج البهجوري- فائزة مرقص وغيرهم من الفنانين، وهنا لابد لنا من أن نذكر أجمل إبداعات الفنان بيكار مجلة السندباد.

الصحفي سندباد...

استقال بيكار من العمل في كلية الفنون الجميلة حيث تولى رئاسة قسم التصوير، بعد إلحاح الشقيقتين علي أمين ومصطفى أمين وتفرغ للرسم الصحفي الذي كان يمارسه في الأخبار منذ عام 1944 وكان لبيكار أسلوب بسيط واضح في هذا المجال حيث ارتقى بمستواه ليقربه من العمل الفني، وكان رائداً له بدلاً من النقل من الصحف الأوروبية، وهو أول فنان رسم غلاف كتاب، بعد ما كان يسيطر على هذا المجال عمال الحفر "فكان كتاب "الأيام" للدكتور طه حسين أول كتاب يقوم برسمه بعد عودته من رحلة المغرب، ويحمل الغلاف كلمة الأيام بخط يد بيكار لتتعدى بعد ذلك الكتب التي رسمها حتى رحيله الألف كتاب، وبذلك يعود له الفضل في نقل الرسم الصحفي وكتب الأطفال وأغلفة الكتب من الغرب إلى مرحلة جديدة مثلت ثقافة مصر وروحها، تميز بيكار في أثناء عمله في دار أخبار اليوم بنوع جديد من الأدب وهو "أدب الرحلات"، الذي كان حديثاً على الصحافة فصار "سندباداً صحفياً" يسافر إلى بلاد العالم حاملاً قلماً ومستبدلاً الكاميرا بالريشة حيث سافر إلى الحبشة وإسبانيا والمغرب وسوريا ولبنان وتونس والجزائر، ونجحت تلك التحقيقات المرسومة أيما نجاح، كان يكتب ويصور بريشته كل غريب وطريف فتجول في أسواق الحبشة، وحوانيتها واختلط بالغجر في إسبانيا ورسم مصارعة الثيران، وفي سوريا صور سلطان باشا الأطرش زعيم الدروز، كما طاف بجبال لبنان الرائعة أشجار الأرز الساحرة ثم عاد إلى أول بلد زارها بعد تخرجه، المغرب ثم اتجه إلى تونس والجزائر محلقاً طويلاً وعرضاً ثم عاد إلى مصر وتعددت رحلاته من مصر الفرعونية إلى بلاد النوبة التي عشقها ثم إلى البحر الأحمر ومنه إلى بورسعيد، رحلات بالكلمة والصورة المرسومة زينت الصحافة المصرية.

البورتريه... تلخيص للحياة

أكد بيكار أن فن البورتريه الذي تميز به يأتي تلخيصاً للحياة على مسطح، وقال عنه "إذا لم أحب ملامح من سأرسمه فلن تطاوعني فرشاتي" فهو يقترب من الشخصية ويغوص فيها بالتعامل والحديث ليقنتنص اللحظة المناسبة ويعبر عنها باللون والخط، وقد تعلم من أستاذه "فريدمان كروزيل" أستاذ النحت في كلية الفنون الجميلة، عندما كان طالباً فيها، أن الفنان أمام البورتريه يجب أن يشعر بأنه يخاطبه ولا بد أن تكون الجلسة بينهما حوارية وبها نوع من الترابط العقلي والوجداني، فهو يحول العمل الفني من لحظة زمنية إلى لحظة أبدية، ولو استطاع الفنان أن يقنتنص هذه اللحظة فقد

وصل إلى صميم فن البورتريه، كان بيكار يركز على مواجهة الشخصية التي يرسمها، لأنه اعتبر العين هي لغة الحوار وهي اللقاء المباشر بين الفنان ومن يواجهه، رسم شخصياته في وضع ساكن لكنه حي فكان لديه القدرة على أن يصطاد ويرسم الحركة الباطنية وليست الظاهرية للموديل ليؤكد أن ملامحه الداخلية هي ما يعطي العمل الفني قيمته، ومنذ تخرج بيكار في الثلاثينات رسم نفسه في العديد من الصور سجل فيها جميع مراحل عمره حتى أيامه الأخيرة.

في بداية الستينيات ومع مشروع بناء السد العالي ظهر أن المياه ستغمر النوبة، بما فيها من آثار وخاض الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة في هذا الوقت معركة الدعوة لإنقاذ آثار النوبة، وهي الدعوة التي تبنتها هيئة اليونيسكو، وكان من الآثار التي أنقذت معبد رمسيس الثاني في "أبو سنبل"، وقد تم نقله إلى أعلى الجبل بعيداً عن فيضان المياه وكان تقطيع المعبد الكبير إلى أجزاء ترفعها الرافعات العملاقة وتحملها الجرارات الضخمة إلى الموقع الجديد، كانت هذه العملية تمثل معجزة هندسية ومعمارية غير مسبوقة وقد قام المخرج الكندي "جون فيني" بتصوير مراحل نقل المعبد إلى أعلى الجبل بارتفاع 40 متراً وظهر أن الفيلم التسجيلي تنقصه المعلومات والصور الموضحة لتاريخ هذا البناء حتى إقامة السد العالي، أي تاريخ المعبد على مدى 3500 سنة من عصر الملك العظيم رمسيس الثاني الذي أقيم المعبد في فترة حكمه، وتخليداً لذكراه، وكان الفنان حسن فؤاد رئيس قطاع السينما التسجيلية قد رشح بيكار للعمل في هذا الفيلم، وقد قام بيكار بالاشتراك مع فيني بكتابة السيناريو، وتفرغ لمدة عامين كاملين في رسم 80 لوحة انتقل من خلالها 3500 سنة إلى مصر القديمة في زمن رمسيس الثاني، وكيف كانت الحياة هناك في ذلك الوقت، بين 50 لوحة صغيرة و30 أخرى يزيد طولها على 4 أمتار نفذها بيكار بألوان الجواش، صورت المعبد من بداية عرض المهندسين الفراعنة تصميماته على رمسيس الثاني وزوجته الجميلة نفرتاري والحفلة الملكية بالقصر وكيفية تحديد المكان الذي سيبنى عليه المعبد وطريقة البناء وتعامد الشمس ودخولها يوم مولده ويوم تتويجه، جاءت الموسيقى التصويرية معزوفة لموسيقار إيطالي مستوحاة من مهمات فرعونية قام بيكار بأدائها عزفاً على الطنبور، عرض هذا الفيلم في مصر وألمانيا وإيطاليا.

إذن... فرسام تشكيلي بحجم بيكار، نقل الرسم الصحفي من الغرب إلى الشرق، وأبدع لوحات بورتريه ستظل خالدة على مر التاريخ، وساهم في إنقاذ معبد "أبو سنبل" الشهير، يستحق أن يكرم من "غوغل" ومن كل ذواق للفن والثقافة والأدب.